الفصل

2

روضة الأطفال: أين تبدأ وإلى أين تتجه؟

إيرين هايد، مارلين مارتينيز وإيفون سميث

Erine Hyde، Marlyn Martinez and Yvonne Smith

تبدأ مدرسة Central Park East التي أسست عام (1974م) التدريس من مرحلة ما قبل الروضة وصولًا إلى الصف الخامس، وتقع في هارلم الشرقية في مدينة نيويورك، كانت هذه المدرسة الرائدة في التعلم الابتدائيّ التقدميّ على مدى ثلاثة عقود، ويمثل عدد طلاب هذه المدرسة البالغ مئتي طالب طيفًا واسعًا من الخلفيات الاقتصادية والعرقية واللغوية، وصفوف هذه المدرسة تضم طلابًا من أعمار مختلفة. كان هناك أربعة وعشرون طالبًا في صف إيرن هايد Erin Hyde وهو الصف الأول في الروضة، وثمانية عشر طالبًا في صف يوفوني سميث Yvonne Smith وهو صف الأطفال ما قبل الروضة، واثنان وعشرون طالبًا في صف مارلين مارتينيز Marlyin Martinez الذي يضم أطفال الصف الأول في الروضة.

الجزء الأول: أين تبدأ روضة الأطفال؟

ايرين هايد

التدريس عمل يتسم بالإثارة؛ لأن كل عام دراسي يكون مختلفًا عن غيره من الأعوام الدراسية، حتى إذا كنت تدرس المرحلة الدراسية نفسها سنة بعد سنة، سيكون الأطفال هم أنفسهم وكل طفل مختلف عن الآخر، وسيكون دخولهم إلى المدرسة دخولًا مختلفًا عن دخول زملائهم في الصف، يشمل ذلك الصداقات والمنهاج والمواد حتى حين يكون المنهاج الذي تفرضه السلطات المنهاج نفسه.

التقاء الطلاب حيث هم

يبدأ المدرسون الناجحون من حيث الوضعية الحقيقية للأطفال، لا من حيث مؤشرات العمر الزمني لهم أو نقطة البدء التي يمليها المنهاج عليهم، وهكذا علينا أن نذهب إلى الأطفال

حيث هم، وأن نعيد النظر -غالبًا- في طريقة تقديم المنهاج والتخطيط ليومنا الدرسي، وفي أسلوب العمل مع كل طفل بمفرده كي ندرس الأطفال بواسطة طرائق يتعلمون بها.

أبرزت السنة الماضية لي أهمية لقاء الأطفال حيث هم، فأنا أدرّس في روضة تضم أعمارًا مختلطة، وتحديدًا الصف الأول، وكان هذا الصف واحدًا من أصغر الصفوف التي درستها في أثناء مسيرتي التدريسية على مدى إحدى عشرة سنة، لقد شعرت بأنني أدرّس صفًّا أطفاله في الرابعة من العمر، حينئذ ما الذي يفعله المدرس في هذا الموقف؟ كيف لي أن أنجح مع هذه المجموعة من الأطفال الصغار الصاخبين والجامحين والقلقين والمهتاجين والمحبين والحادين؟ يحكي هذا الفصل قصة رحلتي هذه.

في كل سنة أبدأ في ترتيب صفي في شهر آب، حيث يكون لدي عدد كبير جدًا من المواد، ولكن هذه المواد لا تحدث مظهرًا لافتًا في اليوم الأول من المدرسة، يستغرق مني الأمر وقتًا لأفتتح صفي في بداية السنة، والتوقيت هنا يعتمد على الأطفال. تشتمل خيارات زمن العمل على بناء وحدات المكعبات والمكعبات الجوفاء والرسم والطبخ ووضع الملصقات والكتابة والرسم والرياضيات والأحجيات. لا يوجد هناك مقصات لوضع الملصقات، فقط هناك الأشكال الرئيسة مثل نماذج كتل لأغراض الرياضيات، معظم رفوف المكعبات مغلقة، والمتوافر من الألوان الأحمر والأصفر والأزرق، ويبدأ الطبخ بأمر بسيط مثل طهي قطعة بسكويت رقيقة بالمربى.

هذا العمل فعل متعمَّد، فأنا أريد أن يتعرف الأطفال إلى الغرفة، ويمكن أن تتحقق هذه المعرفة فقط إذا لم تكن الغرفة مكتظة بالمواد، يحتاج الأطفال لتعلم أين يوضع كل شيء، وكيف تتم أعمال النظافة، تشمل خيارات زمن العمل التي أقدمها خلال الأسبوع الأول على الألوان الرئيسة، فيجب على الأطفال أن يتعرفوا إلى هذه الألوان أولًا ويتعلموا كيفية مزجها ومطابقتها، ومن ثم يمكنهم الانتقال إلى الألوان الثانوية التي يمكن للأطفال اكتشافها في أثناء تعلمهم للألوان الرئيسة.

توحي لي مطالب الأطفال الآتية جميعها بأنهم مستعدون لأعمال إضافية: (أحتاج إلى كتلة مستديرة لبنائي)، (أحتاج إلى مقص لأقطع هذه الدائرة)، (أحتاج إلى أناس

وهمييـن لبنـاء المكعبـات هـذا)، (أحتاج لونًـا أخضر). بعد هـذه الطلبات أسـتطيع أن أبدأ المرحلة الثانية من زمن العمل، وأخرج لونًا آخر، وأفتح رفًّا آخر للكتل. بالوقت نفسه أستمع لطلبات الأطفال الفردية، وعليّ أن أضع نصب عيني أن الصف ككتل يمكن ألا يكون مستعدًّا للخيارات الإضافية.

إن أحـد أعمالـي أن أنظر إلى المجموعة على أنها كلٌّ متكامل، وبالوقت نفسـه يتعلم كل طفل فيه بأنه واحد من مجموعة.

إدخال التعديلات

تعامـل صفـي جاهـدًا في السـنة الماضية مـع المـدد الانتقالية، حيث تعامـل مع المواد بحذر، وأنجز أعمال النظافة بصورة مستقلة، وتعلم الجلوس في أثناء اللقاءات. لقد انطوت المهمات التي تتطلب انضباطًا ذاتيًّا (مثل الجلوس للتشارك في جلسة للرياضيات، أو تنظيف اللعـب علـى الطاولة الجافة) علـى صعوبة كبيرة، كان الأطفال يحتاجون إلى إشـراف الكبار ودعمهـم مـع إبقاء التركيز علـى المهمة. في لحظات التعارك هذه كان الأطفال يستنسـخون السـلوك غيـر الجيد لبعضهم بعضًا ويغذون مشـاغبة بعضهم بعضًـا، وإذا قدمت لهم مزحة بسـيطة ينفجـرون في ضحـك طويل جدًّا يتطور إلـى نوبة من القهقهات،حيـث كان كل منهم يجعل الآخر يضحك بحيث تستمر دائرة الضحك.

حـاول أن تقـرأ قصة مضحكـة لصفك وبعدها اطلب إلى الأطفال أن يسـتريحوا، حاول فقـط أن تطلب إليهم أن يسـتريحوا، لا بد أن ينبثق شـيء، وإلا سـوف أمضـي يومي وأنا أدير الأطفـال بدلًا مـن إنجاز عملي الحقيقي في مسـاعدتهم لتطوير إحساسـهم بالذات، وإيجاد روابط بين بعضهم بعضًا، وأوسّع فهمهم للعالم وأعمّقه.

البرنامج اليومي

لكي أجعل من هذه السنة سنة مثمرة بدأت بتعديل برنامجي اليومي الاعتيادي، إنه غير مناسـب لهـذه المجموعة، كان لهذا الصف كـمٌّ هائل من الطاقة التي لا بد أن تنطلق، وكانت

ستنطلق بالأحوال جميعها. احتجت إلى أن أفهم كيف أنظم اليوم لأوفر للأطفال وقتًا كافيًا لإطلاق طاقتهم، وكان بوسعي أن أصل بالوقت إلى حده الأقصى حين كان الأطفال داخل الغرفة الصفية يتمتعون بتركيز كبير.

خارج الغرفة الصفية: كان الحل الأول -وهو حل واضح- يتمثل في إعطاء الصف متسعًا من الوقت ليلعبوا خارج غرفة الصف، لقد كنت دائمًا أؤمن بقوة بلعب الأطفال خارج غرفة الصف، ولا أعني زمن اللعب المنظم في الجمباز بالرغم من أن ذلك له مكانته أيضًا، إنني أتحدث عن الوقت الحر لصناعة ألعاب وهمية وتنظيم ألعاب للمجموعة، والجري والقفز والتخطي والتسلق واستكشاف الطبيعة، ودائمًا أخصص في برنامجي ثلاثين دقيقة كل يوم لوقت اللعب خارج غرفة الصف، بغض النظر عن حالة الطقس، وفي بعض الأيام نخرج سويًّا مرتين في اليوم.

يعزز الذهاب إلى خارج غرفة الصف وجود أطفال سعداء ومركزين ومسترخين، وهذا بدوره يعزز وجود معلِّمين سعداء ومركزين ومسترخين، وهذه حالة لصالح الطرفين، فبعد مدة طويلة خارج الغرف الصفية يستطيع الأطفال الجلوس ومناقشة الأفكار والتشارك في عملهم والاستماع إلى القصص، مثلما يستطيعون مناقشة إستراتيجيات حل المسائل الرياضية، واستعمال المواد بصورة مناسبة، والقراءة بسرعة. حين يحتجز الأطفال داخل الغرف الصفية فإن مستويات طاقتهم ترتفع ويبدو المزاج في الصف متسمًا بالاهتياج، ويكون الأطفال أقل قدرة على الجلوس والاستماع لبعضهم بعضًا، كما يصبح لديهم تركيز أكبر على النواحي الاجتماعية وإطلاق الطاقة أكثر من التركيز على أهداف التعلم في المدرسة.

تكمن الفائدة الأخرى لتخصيص متسع من الوقت لأنشطة خارج الغرف الصفية في السماح للأطفال بتشكيل مجموعات بطريقة أفضل مما يمكن أن نأمل نحن في تحقيقه، فيشكل الأطفال هذه المجموعات استنادًا إلى احتياجاتهم الفردية. يجري الأطفال الذين يحتاجون إلى تنفيس طاقتهم الجسدية والحصول على تغذية راجعة حسية بسرعة قصوى ويصطدمون بالجدران، وأحيانًا ببعضهم بعضًا. إن الأطفال الذين يحتاجون إلى أنشطة مشتركة يتسلقون ويتعلقون، والأطفال الذين يحتاجون إلى الشعور بالقبول ينضمون إلى

ألعاب الجماعة، بعضهم بحاجة لأن يقود وآخرون لأن يُقادوا، بعض الأطفال بحاجة إلى مزيد من الوقت للعب تخيليّ وجامح وآخرون يلعبون رياضات منظمة ذاتيًّا.

محمد طفل استفاد من الأوقات الطويلة خارج غرفة الصف، كان يقضي وقته في بناء المكعبات، وفي كل يوم كان يبني الهيكل نفسه، كان الأطفال يعملون في المكعبات ولكنه لم ينضم إلى لعبتهم، مع أن محمدًا في الملعب محور لمجموعة كبيرة حين يمثل دور ضابط الشرطة الذي يطارد الرجال غير الجيدين. لقد كان هذا دورًا مهمًّا بالنسبة إليه.

كانت دريتا Drita هي من تجمع الأشياء تلك السنة، وجدت قطعة من الحلي البراقة على أرض الغرفة فالتقطتها وعرضتها لكل أصدقائها. في أثناء وقت اللقاءات كنت أنتبه انتباهًا شديدًا لدريتا لأرى إن كانت تستمتع بمحادثتنا وتتابعها، فقد يكون انتباهها مركزًا على قطعة من خيط قرمزي اللون أحبته. لكن في الملعب قادت دريتا مجموعة للبحث عن الكنوز بتركيز وانتباه كبيرين، هنا سمح لها أن تتابع اهتماماتها دون أن تشكل توقعات المدرسة عقبة في طريقها. فمن دون إعطائهم وقتًا للعب خارج الغرفة الصفية فإن أطفالًا -مثل محمد- كان سينظر إليه من قبل أقرانهم بصورة مختلفة، ولو أنني لم أذهب إلى الخارج مع الأطفال لما تمكنت من معرفة حاجة دريتا لجمع الأشياء كاهتمام قوي لديها. والآن أستطيع أن أجد صلة مع دريتا في هذا الاهتمام، وأقوي علاقتنا وأجعلها تشعر أن لها قيمة، وأن الجميع ينظرون إليها.

وقت الاستراحة: إضافةً إلى الوقت الطويل لمدة الوجود خارج غرفة الصف -وهو حاجة ملحة- فقد كان صفي بحاجة إلى وقت استراحة طويل أيضًا. إن الراحة أمر جيد لأجساد الأطفال ولأدمغتهم، ويساعدهم على التركيز على عملهم في مدة ما بعد الظهر، وكذلك على تأمل ما فعلوه في الصباح، مثلما يساعدهم على التعلم كيف يكونون وحيدين مع أفكارهم. في كل سنة يحتاج الأطفال لأن يُعلّموا كيف يستريحون، في البدء يهمسون ويطيلون مدة الاستلقاء، ويتململون بعصبية ويحاولون الاقتراب من أكثر من صديق لهم، أمضي الأسابيع الأولى من المدرسة وأنا أدور في الغرفة الصفية، وأساعد الأطفال على أن يستريحوا من دون دعم زائد مني.

لكن لم يكن الأمر كذلك في السنة الماضية، فعلى مدى السنة بكاملها استمرت هذه المجموعة في حاجة إلى نصف ساعة كي تستقر. لقد كان هناك تململ أكثر وهمس أكثر وتجنب أكثر مما كانت عليه الحال في مجموعة أخرى درستها. يمكن للمرء أن يفكر هنا ويقول بأن هذه المجموعة لم تحتج إلى وقت استراحة، فكر بهذا الأمر ثانية.

لقد اكتشفت مبكرًا ماذا يحدث حين لا يحصل الصف على راحة كافية. كان الوقت أواخر شهر أيلول حين أخذت كتابًا غنائيًّا من تأليف جولي برنكلو Julie Brinekloe بعنوان **اليراعات Fireflies**، لقد كان لهذا الكتاب وقع مهدئ على الصف وقد ذهب الأطفال بهدوء إلى رياضات الراحة من دون قهقاتهم المعتادة وهمسهم، لقد كانوا متعبين ومستعدين للراحة، ولكن -لسوء الحظ- كان علينا أن نكون مستعدين في خلال خمس وعشرين دقيقة فقط لعملنا في مدة ما بعد الظهر. نام بعض الأطفال مباشرة، فكان إيقاظهم صعبًا لأنهم بحاجة إلى نوم أكثر. أما الأطفال الآخرون الذين كانوا -عادة- يحتاجون نصف ساعة لينا موا فلم يفعلوا ذلك، لقد أمضى الصف مدة ما بعد الظهر في حالة عدم انتباه؛ لأن الأطفال يشعرون بالنعاس أو لم يصلوا إلى حالة من الراحة، لقد كانت الحاجة إلى الراحة بالنسبة إلى هذه المجموعة بالذات أكبر من حاجة أي من صفوفي السابقة، وكان عليّ أن أعدل برنامجي كي أدخل هذه الحاجة إليه.

الوقت المخصص للرياضيات: بعد أن لاحظت أن مدد ما بعد الظهر أصعب المدد للأطفال -خاصة إذا لم يحصلوا على كفاية من الراحة- بدأت بإعادة النظر في الوقت المخصص للرياضيات والذي كان دائمًا في مدة ما بعد الظهر.

نظرًا لطبيعة برنامج الصف فقد كان لدينا مجموعات صغيرة للرياضيات ذات فرص، لمزيد من الدعم القائم على مجموعة لمجموعة من يوم الاثنين حتى يوم الأربعاء. في هذه الأيام كانت الرياضيات تسير على ما يرام، لقد أولى الأطفال ككل مزيدًا من الاهتمام ولكل فرد منهم، وكانت المجموعة قابلة للإدارة لأن عدد الأطفال قليل.

بعد ذلك جاء يوم الخميس، إنه -دائمًا- يوم قاس على صفي، يأتي قرب نهاية الأسبوع، ولكن الأسبوع لم ينته بعد، هنا تكون مستويات الطاقة والقلق عالية أيضًا. في بداية السنة

الماضيـة هـذه كنـا نندفع إلى خارج الغرفـة الصفية من أجل وقت لعب طويـل ورائع بدلًا من الوقـت المخصص للرياضيـات فـي مدد ما بعـد الظهر، ولكن فـي أثناء فصل الشـتاء يكون الأمر صعبًا لإخراج الأطفال في نهاية اليوم.

لذلـك فقد حولـت الزمن المخصص للرياضيات في مدد ما بعد الظهر أيام الخميس والجمعة إلى وقت مخصص لعمل الرياضيات مع وجود خيارات من المواد والألعاب المتعلقة بالرياضيـات، وفـرت ألعـاب السـبورة وألعـاب البطاقـات وألعـاب الذاكـرة والأحجيـات وكل الأنـواع المختلفة للكتل، لقد وفرت كل هـذه الألعاب للأطفال فرصًا لتلبية متطلبات المعايير الحكومية الأساسية المشتركة (CCSS).

فمثـلًا، تشـدد معاييـر الرياضيات الأساسـية المشـتركة علـى العمل علـى قاعدة نظام العدد العشري، والمتوقع من الأطفال أن يعدوا بالعشرات والآحاد في عدد ثنائي الرقم، وأن يحـددوا أشـياء المجموعـة بالعشـرات من أجل عملية عـد فعالة، في أيام الخميـس والجمعة كنـت أعطـي الأطفـال خيـارات الألعاب التـي ركزت علـى جمع الأعـداد على صورة عشـرات وآحاد، واشتملت الألعاب على جمع عصي على صورة حزم مكونة من عشرة عصي، وعد كتل بالعشرات والآحاد، وإضافة عشرة ذهنيًا أو طرح عشرة من ذلك العدد، ولعب (السباق حتى مئـة)، ومـن ثم فقد قدمت الألعـاب للأطفال على أنها خيارات مبنيـة على عدد من وحداتنا الرياضية مثل: الهندسـة، والقياس وأجزاء العدد. ونتيجة لهذه التغيرات كان الأطفال أكثر تركيـزًا وانخراطًـا فـي عملهم. ركزت هـذه الطريقة بصـورة أقل على جعـل الأطفال يعملون بنـاءً علـى جدول أعمالي، بل ركـزت أكثر على أخذ معايير التعلم وجعلها في متناول مجموعة الأطفـال. ولمـا أعطـي الأطفال خيـارات فقد امتلكـوا قوة التحكـم في تعلمهم، كمـا تحفزوا داخليًا ليعملوا على مفاهيم رياضية جديدة ومثيرة للتحدي.

المنهاج

كان المجـال الآخـر الـذي ركزت عليه لتلبيـة احتياجات الأطفال هـو تخطيط المنهاج. يتم تطوير المنهاج ذي المعنى بناءً على اهتمامات الأطفال وأفكارهم وأسئلتهم، ويعزز هذا النـوع مـن المنهاج النـاشـئ وجود بيئة تعلـم أفضل، وهي بيئة يكون فيهـا الأطفال منخرطين

ومحفزين بصورة نشطة، وذوي قيمة، ومحط أنظار الآخرين. هذا المفهوم ليس مفهومًا جديدًا، بل كان منذ مدة طويلة في قلب عمليتنا التدريسية، فإذا درست صفي الحياة في ريف ولاية ايداهو Idaho -مثلًا- يمكن ألا يكون للأطفال صلة شخصية أو خلفية معرفية أو تجربة مع هذا الموضوع، في هذه الحال ستكون المناقشات أحادية الجانب، حيث سأتحدث عنه وحدي، وسأصمم العمل وأطوره وحدي دون الحصول على تدخل من الأطفال، وسيكون الصف خارج سياق الحديث، وستنفجر المشكلات السلوكية، ولا شك في أنني سأجد نفسي أدبر أمر الصف بدلًا من التدريس. ولكن إذا استمعت وراقبت بعناية، وأوجدت غرفة صفية يشجَّع فيها الأطفال على أن يتكلموا ويعملوا على مشروعات تنبع من خياراتهم؛ حينها سأكون قادرة على بناء منهاج جذاب مؤسس على اهتمامات الأطفال وأسئلتهم وأفكارهم.

في بداية السنة استمريت في استراق السمع إلى أحاديث الأطفال حول من سيتزوجون. قالت إحداهن: «أحب ميغل وسوف أتزوجه»، كان الأطفال يتحدثون حول الشخص الذي يحبونه، ومن سيكون أفضل صديق لهم، وكنت ألتقط نتفًا من تلك الأحاديث، ولكن لو أدرك الأطفال أنني كنت أستمع إليهم لتوقفوا عن الحديث فورًا، كان لديهم خصوصية وأسرار، وكانت مشاعرهم -أحيانًا- تتعرض للأذى. كان لا بد من إخراج أحاديثهم إلى السطح، لأنها إذا بقيت سرية فستظهر حالات سوء الفهم والمعطيات غير الصحيحة، وهذا ما يتمخض عنه نزاع ومشاعر تتعرض للأذى.

بعد مراقبتي الأمر مدة شهر بدأت أبحث عن كتب حول الحب بين الأصدقاء والحب بين أفراد العائلة، قرأت للصف كتاب **الحب Loving** لآن موريس Ann Morris، وتحدثنا عن الطرق المتعددة التي يظهر فيها أفراد العائلة عنايتهم ببعضهم بعضًا، ثم تحدثنا عن الاختلافات ونقاط التشابه بين طريقة إظهار الحب عند كلٍّ من العائلات والأصدقاء. تحدثنا عما يمكن أن نفعله في المدرسة لإظهار عنايتنا بشخص ما، وتحدثنا أيضًا عن الأنواع المختلفة للعائلات، وكيف يولد الأطفال والأزواج من الجنس جنسه، وعن عملية التبني. ونظرًا لأن الأطفال كانوا قادرين على التحدث في هذا الأمر مدة طويلة علمت أن هذا المجال -بالتحديد- جدير بالدراسة.

كتبت رسائل إخبارية إلى عائلات الأطفال حول موضوعات الحب والصداقات والعلاقات التي كانت تنشأ في الصف، بعد ذلك دعوت العائلات لمشاركتنا بالقصص، طلبت إلى أفراد العائلات الذين رغبوا بالمشاركة أن يدخلوا ويسردوا قصة عائلية، أو قصة عن رحلة معينة،أو تقليد معين سواءً كان دينيًّا أم غير ديني، أو قصة ميلاد طفل، وكيف حصل الطفل على اسمه، لقد أردت حقًّا أي قصة، أردت أن أجعل العائلات منخرطة معنا في عملية التعلم، وعلمت أيضًا أن استمداد التجارب من حياة الأطفال ومن حياة عائلاتهم سيجعل المحتوى ذا صلة وأكثر إثارة، إضافة إلى ذلك تبرز معرفة خلفيات العائلات والثقافات قيمة الممارسات المتعددة للثقافة. لقد سمعنا قصصًا عن الأعراس والميلاد والسفر إلى أماكن أجنبية ومراسيم خاصة وأكثر من ذلك، وحين أجرى الأطفال مقابلات مع أفراد العائلة سمح لهم هذا الأمر بتحقيق متطلبات المعايير الحكومية الأساسية المشتركة، عن طريق طرح الأسئلة، وتعلم مفردات جديدة، وتركيب المعطيات. لقد أصبحت المفردات الجديدة معرفة تشاركية حين بدأ الأطفال يسألون الناس -مثلًا- إن كانوا يتبعون التقاليد المسيحية أو الإسلامية في أعراسهم. وبناءً على معايير (ELA) علمنا أن كثيرًا من أسماء الأطفال لها أصل في بلدانهم المختلفة؛ لذا بدأنا ننقب في الجغرافيا.

قام الأطفال بتدوين ملاحظات في أثناء مقابلاتهم في دفاتر يومياتهم كي يثبتوا المعطيات التي حصلوا عليها، ساعدت الصور المرئية التي قدمها الأطفال على تركيب المعطيات، خاصة أولئك الأطفال الذين يجدون صعوبة في معالجة اللغة، بعدما سمعنا إحدى الأمهات تحكي قصة تعميد ابنتها، أظهر الأطفال في ملاحظاتهم النواحي المهمة لطقس عملية التعميد، مثل صب الماء على رأس الطفل وإشعال شمعة. في مقابلة أخرى قال لنا أحد الآباء بأنه تقدم إلى شريكته في الحياة عن طريق كتابة رسالة لها، قام الأطفال بتهجئة كلمة (رسالة) بناءً على معرفة كل منهم لأصوات هذه الكلمة، حيث استخدم بعضهم الحرف L فقط، في حين استخدم بعضهم الآخر التهجئة التقليدية، ورسم أطفال آخرون صورة للرسالة.

بعد المقابلة قام الأطفال برسم صورة وكتبوا عن المقابلة، وقد وضعنا كتاباتهم وصورهم في كتاب بقي في مكتبتنا كي يقرأه الأطفال، واستندت عملية تأليف الكتاب على

أهداف المعايير الحكومية الأساسية المشتركة (CCSS) في الكتابة، دوّن الأطفال المعطيات التي شرحت الأحداث وما جرى في أثناء المقابلة، كما عمل الأطفال على المهارات الأساسية للمعايير الحكومية الأساسية في عملية تعلم القراءة والكتابة، حين أعادوا قراءة الكتب التي وضعت عن المقابلات، ودونوا كلمات تطابقت مع رسوماتهم.

حين يكتب الأطفال لأنفسهم وليس بدافع كتابة الوظائف، فإن النوعية ومستوى الانخراط وكذلك المواقف تجاه الكتابة تكون مختلفة تمامًا؛ لأن الأطفال يقتربون من العمل بهدف وثقة وتصميم، وحتى أولئك الذين يجدون صعوبة في الكتابة، فإنهم يجدون مداخل لإتقان هذه المهارة، حين تكون العلامات المثبتة على الصفحة علاماتهم هم وليس علامات المعلمين.

العمل مع الأطفال كأفراد

كان عليّ أن أكون مرنة مع احتياجات الأطفال كأفراد بالطريقة نفسها التي كنت فيها مرنة مع احتياجات المجموعة ككل، هناك -دائمًا- أطفال تكون توقعات المعلمين منهم توقعات منحازة وبالطريقة غير الصحيحة، وبالنسبة إلينا كمعلِّمين علينا أن نوجد مكانًا لمثل هؤلاء الأطفال في صفوفنا، ولا يترتب على هؤلاء الأطفال أن ينسجموا مع توقعات المعلمين، بل يجب علينا نحن أن نلتقي بهم في منتصف الطريق، وأن تستند التوقعات إلى ما نحتاج إنجازه كمدرّسين، وما يتناسب مع قدرة الطفل. في ما يأتي قصص من السنة الماضية عن طفلين طلبا إليّ أن أوجد لهما نوعًا مختلفًا من الفرص كي يكونا ناجحين في المدرسة.

أوين Owen: عرفت أوين منذ السنة السابقة، حين كان في صف ما قبل الحضانة في مدرستنا، لقد عرفته بنّاءً وطفلًا واجه صعوبة في التوقف عن عمله حين كان يحلّ وقت توقف الأطفال عن العمل، بعد ذلك اختبرت الأمر مباشرة حين جاء أوين Owen إلى صفي في شهر أيلول، ولو لم يكن أوين مقتنعًا في أن ينهي ما كان يفعله قبل أن يحلّ وقت النظافة، فإنه كان سيصرخ ويجادل ويغضب، وفي أثناء مدد اللقاء لم يكن أوين يجلس بهدوء، ولا يتوقف عن الحديث إلى من كانوا حوله، كان يتحرك كثيرًا لدرجة أن الأمر كان ينتهي به

بركل الأطفال الآخرين ودفعهم، وبذلك يشتت انتباه كل من في الصف، لقد كان من الصعب المضي في هذا اللقاء بنجاح.

وبدلًا من الاستمرار في الجدل مع أوين وإلزامه بالجدول الزمني الذي وضعته، سمحت له بأن ينهي عمله بينما كنت أدير اللقاءات مع بقية الصف، أجلست أوين إلى الطاولة مواجهًا منطقة لقائنا، هنا بقي أوين منخرطًا في عمله وفي أحاديث الصف. لم يكن عليّ أن أتوقف عن حديثي مع الصف كي أعالج تصرفاته في أثناء اللقاء، حتى إن أوين استجاب لأحاديث الصف، وذلك بطرحه الأسئلة والتعليق على الأحاديث، فهم الأطفال الآخرون أن هذا الإجراء ساعد أوين على تهدئة جسمه والتركيز على اللقاءات، بعدئذ تحدثت إلى الصف عن اختلاف كل واحد منا عن غيره، وأننا نحتاج أشياء مختلفة كي نكون أنفسنا نحن كأفضل مستمعين.

يبدو العمل في أثناء الاستماع عند بعض الناس هو الطريقة الوحيدة، وحين يرى الأطفال أن احتياجات الآخرين تلبى، فإنهم يطمئنون إلى أن احتياجاتهم هم سوف تلبى أيضًا.

ريموند Raymond: في أثناء مدد القراءة الهادئة كان واضحًا أن ريموند يجاهد أكثر من معظم الأطفال كي يجلس ومعه كتاب، كانت طاقته ومحاولاته الجاهدة في الانكباب على أمر واحد مدة طويلة تجعل الأمر صعبًا لبقية الأطفال كي يقوموا بذلك أيضًا. فبدلًا من النظر في الكتب كان ريموند يقحم نفسه في أحاديث الأطفال الآخرين، ويغير نبرة الموضوع واتجاهه بصورة كاملة، وكان -أحيانًا- يقفز على زملائه بطريقة لاهية، أو يقول للأطفال بأنه سيضربهم.

في بداية السنة اكتشفت شيئًا نجحت عن طريقه في التعامل مع ريموند، ففي أحد الأيام كنت أساعد الأطفال على القيام بأعمال النظافة في منطقة المكعبات البلاستيكية، وكان ريموند قد أنهى تنظيف منطقته، ومن المفروض أن يقرأ بهدوء. في دقيقتين اقترب مني ثلاثة أطفال واشتكوا أن ريموند يقفز على ظهور الأطفال، كان علي أن أبقيه مشغولًا، ولذلك حددت له بعض المهمات، طلبت إليه أن يجد كتابًا محببًا جدًا، وأن يكتب اسم هذا

الكتاب على ورقة، وبذلك ضمنت إيجاد قائمة من الكتب حسب ترتيب معين، تابعت مساعدة الأطفال الآخرين بينما كان ريموند يعمل إلى جانبي، لقد كان عملًا هادئًا، وبالوقت نفسه كان الأطفال الآخرون قادرين على الاستمرار في أعمال النظافة بدعم مني، أو القراءة بهدوء.

وخلال بقية العام كان لدى ريموند أعمال تعلم القراءة والكتابة، يؤديها في أثناء مدة القراءة الهادئة حين لم يكن عنده مدرّس يقرأ معه. لم يعد ينظر إلى ريموند على أنه مصدر إزعاج أو تشويش للأطفال الآخرين، وكان لهذا الإجراء تأثير إيجابيّ على صورته عن نفسه، وأصبح قادرًا على رؤية نفسه عضوًا مساهمًا في غرفة الصف بمساعدته في أعمال صيانة مكتبة غرفة صفنا.

الخلاصة

لا يمكن أن تفصل الحياة الاجتماعية والعاطفية للأطفال عن الموضوعات الأكاديمية في المدرسة، ويجب أن لا تفصل، وحين لا تلبى الاحتياجات الاجتماعية والعاطفية في المدرسة، فإن التعلم يصبح معركة عسيرة، حيث يكون سهلًا للبعض وشاقًّا للبعض الآخر. يجب على المعلمين إدراك طبيعة المجموعة ككل، وأن يدخلوا التعديلات التي تلبي احتياجات كل من المجموعة وكل طفل بمفرده، وكما علمني هذا الصف؛ فلربما يترتب على المعلمين أن يغيروا الروتين، وأن يكرسوا أوقاتًا أطول في اليوم، ويعيدوا هيكلية أوقات أخرى. هذا يعني أن يكون كل طفل مرئيًّا للمدرس عن طريق استخدام المواد غير المحدودة، وبذلك يستطيع المدرسون أن يضفوا طابع الفردية على توقعاتهم كي يقدموا تعلمًا مثاليًّا للأطفال جميعهم، كما بين لي كل من أوين وريموند.

حين يدخل المدرسون هذه التعديلات تصبح نقاط القوة عند الأطفال ظاهرة، وهذا ما يسمح للمعلِّمين بمطابقة المنهاج مع وضعية الأطفال، وهذا بدوره يسمح للمعلِّمين إيجاد فرص جذابة للتعلم، والتي يمكن أن يستفيد منها الأطفال بطرق رائعة وحقيقية. حين يكون المنهاج متكاملًا ومطورًا وفق اهتمامات الأطفال، فإن دوافع الأطفال وانخراطهم ودهشتهم في التعلم تحكم جو غرفة الصف، وبالوقت نفسه تلبي متطلبات المعايير الأساسية المشتركة.

تعليقات المحررين

حتى بالنسبة إلى المعلِّمين مثل إيرين، فإن مجموعة صعبة من الطلاب أو أفراد معينين يمكن أن يشكلوا تحديًا، ولا يبدو أن شيئًا ينجح، فالإحباط يتصاعد، ويعلق المدرس والمجموعة في مواجهة. مع هذه المجموعة من الصغار تسأل إيرن نفسها ماذا عساها أن تفعل؟ وكيف باستطاعتها أن تسيّر الأمور على ما يرام؟ وما الذي تستطيع تغييره؟

كان تعديل البرنامج الزمني أول تعديل أدخلته إيرن، فهي تراقب الأطفال وتستنتج بأنهم بحاجة إلى مدة من النشاط الجسمي الموجه لمصلحتهم خارج الغرفة الصفية، إضافةً إلى وقت طويل من الراحة، إنها تعزف على نقاط القوة لديهم، وتدخل ألعابًا تشجع على انخراطهم النشط والمستقل، وهي ألعاب تركز على مهارات محددة، تتعلق بالمعايير الحكومية الأساسية المشتركة (CCSS). يقودها انتباهها إلى أحاديث الأطفال إلى وضع منهاج مبني على الحب والصداقة، والأمر المهم أنها في أثناء تخطيطها للتعامل مع طفلين يزعج سلوكهما الصف بكامله، تجد إيرين Erin طرقًا لإدخال هذا الطفل إلى مجتمع التعلم بدلًا من إقصائه Howes& Richie, 2002, p. 5 مرة أخرى تستمتع إيرين بالتدريس وهي تعمل مع هذا الصف.

في أثناء تكيفها مع هذه المجموعة من صغار الأطفال، تتعلم إيرين دروسًا أيضًا من الخيارات التي لم يكن عليها أن تدرسها في صفوفها السابقة، إن ما يجعل هذا التدريس أمرًا مثيرًا بالنسبة إلى إيرين هو أن كل سنة هي سنة فريدة من نوعها. تجعل هذه الفروقات وما يرتبط بها من تحديات المعلمين قادرين على أن يوضحوا أهدافهم وقيمهم، وبذلك يصبحون معلِّمين أفضل، إن الفروق التي تحدث بين سنة وأخرى تجعلنا منخرطين في التدريس وتبقينا نتطور كمعلِّمين.

الجزء الثاني: إلى أين تمضي روضة الأطفال

هذا الجزء مبني على مقابلة مع مارلين مارتينيز Marilyn Martinez وايفون سميث Yvonne Smith. أجرت المقابلة جولي دايموند Julie Diamond.

تلبية متطلبات المعايير الحكومية الأساسية المشتركة

كيف يتلاءم منهاجك الغني مع المعايير الحكومية الأساسية المشتركة؟

ايفون: اجتمعت مدرسات صفوف الطفولة المبكرة وتحدثن سويًّا عن المعايير الحكومية الأساسية المشتركة، تفحصت مدرسات صفوف مرحلة ما قبل الروضة ومدرسات الصف الأول في روضة الأطفال ما كنا نفعله سابقًا في المكعبات الخشبية والبلاستيكية، وفي اللعب التخيلي، وفي البناء، ودراسة الحيوان، وفي الطبخ، والخياطة، وفي العمل بالطين، وإجراء المسوحات، وجرى الحديث عن الرياضيات والقراءة والكتابة، والأكثر عن العلوم والدراسات الاجتماعية والنمو الاجتماعي العاطفي. كانت كل هذه الموضوعات مطروحة، وكان كل ذلك مستمدًّا من أنشطة طبيعية عضوية، ولم يكن لزامًا علينا أن نستثني شيئًا ونبعده خارج غرفة الصف كي نلبي متطلبات المعايير.

كان بإمكاننا أن نستمر بالقراءة والكتابة بالطريقة التي كنا نتبعها في غرفة الصف، وأن نبقي طريقة تعلم القراءة والكتابة متناسقة، بحيث تنبع مما كان الأطفال يقومون به في المناطق المختلفة من غرفة الصف، أو في الوقت المخصص للكتابة، لقد بدأ الأطفال يكتبون بالطريقة التي يبدأ فيها أطفال مرحلة ما قبل الروضة وأطفال الروضة بالكتابة، وتلك الكتابة يمكن بعد ذلك أن تصبح مادة لقراءتهم.

ماريلين: هذا الأمر ينطبق أيضًا على القراءة. تحدث القراءة حين يعمل الأطفال في المناطق المختلفة من غرفة الصف، مثل منطقة دراسة الحيوان، فهنا كان لدينا حشرات عضوية وعدد من (أبو بريص)، وفي أحد الأيام وضعت واحدة من (أبو بريص) بيضة، وقلنا سيكون لديها فرخ، وبذلك كان علينا أن نقرأ عن طريقة الاعتناء بالبيضة. بدأ الأطفال يقرؤون عن (أبو بريص)، وكان عندهم كبار يقرؤون لهم، فاستطاعوا أن يحصلوا على معطيات، من ثم عادوا وبدؤوا يرسمون ويسجلون ملاحظاتهم المباشرة، وأيضًا قاموا برسم الأشياء التي تعلموها وكتابتها. لقد ألفوا كتبًا وضعت في صندوق، ليطلع عليها مؤلفو الصف بعد ذلك وخلال الأوقات الهادئة للقراءة أو في أوقات أخرى، كان باستطاعة الأطفال أن يأخذوا الكتب ويقرؤوها. وهكذا أصبحت هذه الكتب موادّ القراءة لهم.

ايفون: في منطقة المكعبات البلاستيكية يضع الأطفال لافتات صغيرة يكتب عليها مثلًا (بناء ميلينا)، مثلما يكتبون لافتات صغيرة تقول (S – W – A – H) أي منزل ويكتبون أيضًا الرجل الوطواط (N – M – T – B)، يستطيع كل فرد أن يقرأ هذه اللافتات الصغيرة؛ لذا فهناك الكثير من الفرص لدى الأطفال كي يكتبوا، ويقرؤوا كتابة طفل آخر، لكن الكتابة والقراءة تنبع من مبادرتهم وحاجتهم إلى تحديد شيء ما لأنفسهم وللآخرين، ووضع بطاقات تعريفية لهم وللآخرين. يُعدّ هذا العمل عملًا حقيقيًّا أنجزوه بأنفسهم.

القيام بدور فعال في غرفة الصف

كيف تتابع تقدم الأطفال وتتأكد من أنهم لا يعلقون بين الشقوق؟

ماريليـن: إننا نبدي الكثير من الملاحظات وندون الكثير منها كذلك، وهناك طرق متعددة للتوثيق، قائمة الصف واحدة من الأشياء التي نستعملها في ذلك، وهي جدول بياني يسجل فيه أسماء الأطفال جميعهم، نصور هذه القوائم ونضع واحدة على لوح مشبكي، وفي أثناء وقت العمل -يوميًّا- يمكن أن نكتب بجانب اسم تونـي Tony أنه عمل اليوم في منطقة اللعب التخيلي، فحين نأخذ الملاحظات نكتب أين كان الطفل يعمل، وكل شيء يصبح واضحًا لدينا، وكذلك أي شيء نريد العودة إليه ثانية، فمثلًا، إذا دفعتني ملاحظات الأطفال إلى التفكير بإضافة بعض المواد المحددة إلى منطقة اللعب التخيلي، أو اقتراح شيء آخر من شأنه أن يعزز خبرة الطفل، فهذا يجعلني أتحدث مع مجموعة الأطفال خلال لقاء مدة العمل.

يعد لقاء مدة العمل جزءًا مهمًّا من اليوم، فهو الوقت الذي نكون فيه جميعنا مع بعضنا بعضًا، ونتحدث عن الأشياء التي كان الأطفال يقومون بها، نتحدث عما مروا فيه من تجارب وأحداث، وعن الإستراتيجيات المتنوعة التي استخدموها لحل المشكلات. ألتقط أيضًا الكثير من الصور لأوثق ما يحدث، وفي وقت الغداء أو بعد المدرسة أعود وأسجل بعض الملاحظات.

ايفون: كان هناك ثلاث بنات من صفي جالسات إلى طاولة الرياضيات، وكن يشتغلن على المكعبات البلاستيكية السوداء، ونماذج كتل، وأجهزة العد التي على صورة

دبدوب، وعملهن يشتمل على الرياضيات وعلى اللعب المثير أيضًا، لقد كانت النماذج التي تراها هنا والأعداد التي تراها هناك مذهلة، كانوا قد ذهبوا لتوّهم إلى متحف غوغنهايم Guggenheim Museum ونزلوا إلى الانحناء الحلزوني، وأصبح لديهم الآن تصميم حلزوني مستمر (انظر الشكل 2 والصورة على الغلاف الخارجي للكتاب).

في أوقات أخرى، وفي منطقة الرياضيات يضع الأطفال دببة صفراء اللون على أشكال صفراء ذات زوايا وأضلاع مسدسة، ويضم الأطفال كل الأشياء ذات اللون الأصفر إلى بعضها بعضًا، ومن ثم يرتبون المجموعات بواسطة الأعداد، مثل ثلاثة أشياء صفراء اللون وأربعة أشياء أخرى ذات لون آخر أيضًا، في مرحلة لعبهم يرتب الأطفال المجموعات كي تستطيع هذه المجموعات أن تمضي من الصفر إلى أي عدد، كما تسلسل المجموعات أيضًا حسب الارتفاع؛ لذا يمكنك أن تطلع على التفكير العددي للأطفال، وكذلك على تفكيرهم الهندسي، هنا لا أضطر أن أعطي درسًا كي أجعلهم يفعلون العمل بأنفسهم.

حين يجري الأطفال ترتيبات رياضية كهذه، فإنني أطلب إلى كل منهم أن يقف عند طاولة الرياضيات كي يشاهد العمل؛ لأن هذه الطاولات ستنظف، وأنا أريد من الأطفال الآخرين أن يشاهدوا العمل؛ لذا فإن التشارك في وقت العمل يجري عند طاولة الرياضيات. هنا أسأل المجموعة قائلة: «ماذا تلاحظون؟»، يلاحظ الأطفال أشياء لا يمكنك أن تظن بأنهم يركزون عليها، وهي أشياء لم تعرف عنها شيئًا، إنهم يرونها كلها. نقوم بهذا النوع من التشارك كل يوم، وبذلك يتعلمون التقاط الأشياء التي تبرز لهم.

هناك اختلاف بين كلمتي (يلاحظ) و(يرى)، وهذا الاختلاف يدفع الأطفال إلى تخطي ما تراه العيون، كلمة (يلاحظ) تطلب إلى أدمغتهم أن تتفاعل وتفكر بصورة أعمق وأكثر اتساعًا. يستخلص الأطفال الفكرة القائلة بأن الألوان مجموعة مع بعضها بعضًا، وأن ثلاثة من هذه الأشياء هنا ذات لون معين لكن أربع أشياء هناك ذات لون مختلف. ونظرًا لأن العدد مهم بالنسبة إليهم فإنهم يبينونه، وتجربتهم هذه تجعلني أخطو خطوة إلى الوراء، لأنه لو لم أسألهم ولم أعطهم الفرصة كي ينظروا إلى الترتيب ويتحدثوا عنه لما عرفت ما كانوا يعرفونه.

(**الشكل 2.1**): تم استلهامه من رحلة إلى متحف غوغنهايم Guggenheim في مدينة نيويورك انحناءة الحلزوني ومجموعة من الأطفال صنعت هذا الشكل الحلزوني خلال وقت العمل.

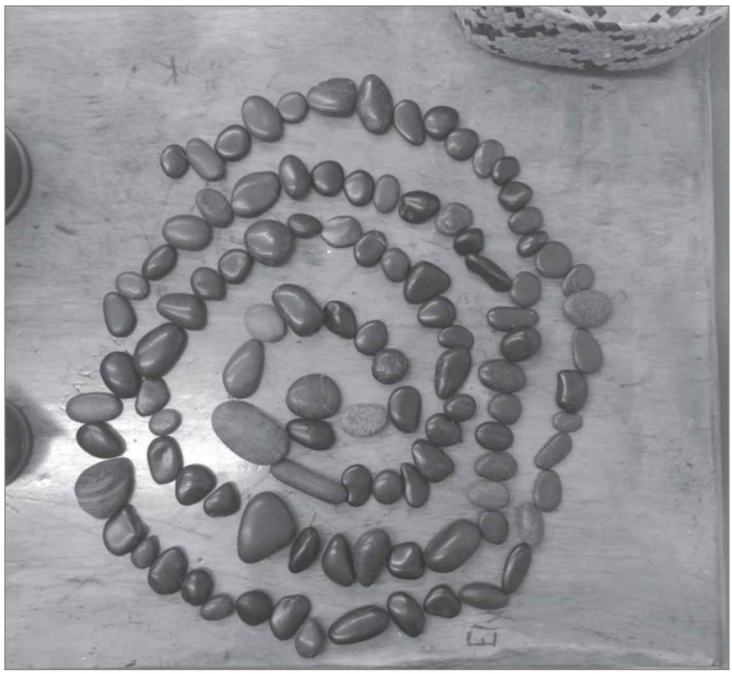

هل يمكنك أن تقول أكثر عن أهمية هذه الأنواع من المناقشة؟

ماريليـن: حيـن يجري الأطفال هذه الأحاديث فإنهم يتكلمون معظم الكلام، فيمكنني أن أطرح سؤالًا توضيحيًّا، وهذا يعطيني أيضًا الفرصة لأن أسجل ملاحظات عما يقولونه. إنهم يقومون بعمليات الربط بأنفسهم في أثناء أحاديثهم مع بعضهم بعضًا.

ايفـون: لدى الأطفال الكثير من الأفكار. لقد أنهت آلي Allie قطعة من الخياطة، لم تشأ أن تجعلها على صورة رجل ثلج محشو أو رجل ثلج على مخدة، فسألها الأطفال عن الأسباب، لأن لدينا بابا نويل محشو وسحلية محشوة. صنعت باتي Patty مخدة وزخرفتها. كان السؤال الموجه إلى آلي لماذا اختارت أن تضع مربعًا محشوًا؛ لكنها لم تعرف لماذا. بعدها قال أحد الأطفال: «بإمكانك أن تستعمليه غطاءً لك في أثناء النوم»، وقال طفل آخر: «بإمكانك أن تستعمليه لـ.....».. كان التفكير موجودًا، وكذلك الأفكار، في نهاية الأمر قالت آلي بأنها تريد أن تأخذ قطعة الخياطة إلى البيت، وفي اللحظة التي استدارت لتضعها في

حقيبة الظهر قالت فيفيان: «ذلك قدم لي فكرة، اعتقد بأنني سوف....»، لم يكن مهمًا ما ستفعله، لقد قالت: «لدي فكرة»، وكنت أعلم بأن فكرتها أتت من هذه الفكرة الأخرى، كان بوسعها أن تغير رأيها. والنقطة المهمة أن الأطفال تحدثوا عن مصدر أفكارنا وعن أهمية التشارك في وقت العمل.

بعد وجبة خفيفة وفي وقت القصص اخترت أن أقرأ **ما الذي تفعله بالفكرة What Do You Do With an Idea** Yamada & Besom, 2014. هذا هو الوقت الذي تدخل فيه فقرة تعلم القراءة والكتابة.

ماذا عن الأطفال الذين لا يتكلمون؛ أي الأطفال الهادئين؟

ايفون: هناك -غالبًا- أطفال يتصفون بالهدوء وقت دخولهم إلى المدرسة في شهر أيلول، ويستغرق الأمر منهم مدة طويلة كي يعوا ما يجري في غرفة الصف، ما دوري أنا في هذه الحال؟ إن الأطفال بحاجة إلى وقت ليجدوا أنفسهم ويعرفوا هويتهم في صفوفنا، ونحن نثق بأن الأطفال حين يكونون مرتاحين سيتقدمون إلى الأمام، ولقد اكتشفنا أنهم يتقدمون، لنأخذ لويس Luis مثلًا، لقد كنا ننتظره كي يبدأ بالكلام، وهو الآن لا يتوقف عن الكلام. في شهر أيلول كان يستبدّ بي القلق عليه، ولكن لدي الآن طفل ثرثار. يجب أن يكون لديك الإيمان بأن الطفل الثرثار موجود هناك في صفك. والسؤال لماذا لم يثق بنا في شهر أيلول؟

ماريلين: أفكر بآدم، كنت أعتقد أنه يعاني من مشكلة خطيرة في النطق لأنه لم يتكلم، لم يتحدث للبالغين ولم أسمعه يتحدث إلى جده. وفي بداية السنة لم يتحدث للأطفال الآخرين حين كان يعمل على المكعبات البلاستيكية، كانوا يطلبون إليه أن ينضم إليهم في بناء المكعبات، ولكنه يكتفي بالجلوس هناك، كان يختار الرسم ولكن لا حوار حقيقي مع الرسامين الآخرين، كنت أحاول التواصل معه بالإسبانية فلم يستجب، لقد اختار منطقة اللعب التخيلي، وبعدها سمعته يتحدث، وقلت في نفسي: «حسنًا سأرى إن كان سيختار اللعب التخيلي غدًا». حين اختار اللعب التخيلي كان يكتفي بأن يشير إلى المنطقة فقط، وفي يوم من الأيام سمعت هذا الصوت الجديد، التفت فإذا هو آدم، لقد كانت لديه كلمات وكلمات كثيرة، جلست بجانب منطقة اللعب التخيلي وسجلت ملاحظات، سجلت كل شيء قاله لأرى أي لغة كان يتحدث بها. لم تكن مشكلته مشكلة كلام، لقد كان الأمر مختلفًا حين كنا وسط

مجموعة أكبر من الأطفال، إن منطقة اللعب التخيلي مكان راحته حيث كان ينفتح على أقرانه ويجري أحاديث معهم.

ما دور المدرس في مساعدة الأطفال ليصبحوا أكثر انخراطًا وتواصلًا؟

ماريلين: حين فهمت أن آدم كان واحدًا من الأطفال الذين يحتاجون إلى الذهاب إلى منطقة اللعب التخيلي، تأكدت من أن له مكانًا هناك حتى أصبح مرتاحًا بما فيه الكفاية ليقوم بخيار مختلف، لم يكن بالضرورة الشخص الأول الذي أختاره للعب التخيليّ، فهناك أربعة مناطق في منطقة اللعب التخيليّ؛ لذا كنت أنادي على طفلين آخرين أولًا، وبعدها أقول: «يا آدم»، وفي غضون أسبوعين أصبح قادرًا على أن ينطق كلمة اللعب التخيليّ Pretend، والآن يريد آدم أن يفعل كل شيء، وعليّ أن أقول له: «سيكون لديك فرصة، ولكن ليس الآن».

ريزا Risa طفلة تواجه صعوبة أكاديميًّا، لكن الطبخ كان دائمًا أحد اهتماماتها، حين نطبخ تقرأ بطاقات الوصفة الطهوية؛ لذا عليها أن تتابع الوصفة كي تعرف ما تفعل لتنتقل إلى الخطوة التالية، فتلقي نظرة عن كثب على الكلمات والصور وأية دلائل أولية أخرى، حين تنظر إلى الوصفات الطهوية فإنها في الواقع تعمل على فك الرموز، بينما حين تقرأ كتابًا فإنها تنفر من الكلمات التي لا تعرفها وتتخطاها؛ لذا جعلتها تعرف أنه حين نقرأ كتابًا فإن هذا الأمر لا يختلف عن عملية قراءة الوصفات الطهوية (انظر الشكل 2.2).

لدينا الكثير الكثير من الخيارات، وهناك دائمًا طريقة ما لتبنيها. بالنسبة إلى آدم فقد كان خياره اللعب التخيلي. هناك دائمًا ثغرة نحددها عن طريق ملاحظاتنا، فإذا لاحظت بأن ذلك الطفل لايزال غير منخرط في النشاط، فإنني أذهب إلى البيت وأفكر بالأمر، بعدها أبدي ملاحظات أكثر، وأعرف كيف يمكن لي أن أجعله ينخرط في هذا النشاط.

ايفون: يدعم هذا الوضع في الواقع الأطفال الصامتين. إن مجرد إعطائهم الخيارات يعني أننا نؤمن بقدرتهم على القيام بخيارات جيدة، صحيح أننا نحن الذين نتخذ القرارات ونفرد المواد، ونقرر أي المناطق سيتناولها الصف، ولكن تلك المناطق تتغير بناءً على ما نرى الأطفال يفعلونه، وما نسمعهم يقولونه، وماذا يطلبون في نهاية المطاف، يسأل الأطفال أسئلة مثل: «هل لنا أن نأخذ هذا؟ هل لنا أن نفعل هذا؟»، فتكون إجابتي عادة: «دعوني أرى إن كان بمقدوري أن أجد طريقة لأقيم ذلك».

نحـن نوفـر مسـاحة للأطفال كي يجربـوا، إننـا نصغي لهـم ولا نحكم عليهـم. قال أحد الأطفـال: «أنـا أعرف أنني لسـت رسـامًا جيـدًا، ولكنني أريد أن أكون رسـامًا جيـدًا، ولذلك سـوف أجـرب هذا، وأجـرب ذاك». كان لديه الحرية لأن يفعل هذه الأشـياء، وهذا أمر مهم. لم يكن الأمر مهمًا في ما إذا كان جيدًا في هذا العمل أم لا، فهناك مساحة مخصصة له كي يجرب وألا يكون الأفضل في فعل شيء ما.

تسـمح هـذه المدرسـة للأطفال بأن يطـوروا موادهـم، فمعايير الأطفال عـادة ما تكون أعلـى بكثيـر من معاييرنـا، إن الأطفال الذين يقومـون بعملية المحي مـرارًا وتكرارًا، والذين لا يتركـون منطقـة المكعبـات، والذين يقولون نحتاج أن نرسـم هذا الشـيء مـرة أخرى لأننا لـم نحصـل علـى التركيـب الصحيـح، كل هؤلاء لديهـم معايير يحاولـون تحقيـق متطلباتها، ويتطلعون إلينا للحصول على تلك المعايير. انظر إلى عمل الرياضيات الذي يؤديه الأطفال، في وسعي أن أقول: «الآن جميعنا سنصنع أشكالًا حلزونية»، ولكنك هنا تفقد الغنى والوفرة، وسوف تفقد اللعب المثير الذي هو جزء منه؛ لأن هؤلاء الأطفال الذين كانوا يصنعون الشكل الحلزونـي، يبنـون مدينـة لديهـا وسـائل نقـل، ومتاحـف، وكل ما يمكـن أن يكون قـد فاقهم. إن جانـب الرياضيـات مهـم، ونحن نسـتعمل هذه الأشـياء مثل الرياضيات كي نعيش حياتنا الحقيقية، ونجلب الفرح لأنفسنا، ونستطيع أن نرى المتعة في الأطفال وفي الصف.

(**الشكل** 2.2): بمساعدة محترف، يستخدم طفلان بطاقة الوصفة الطهوية لصنع وجبة خفيفة للصف

خلق بيئة مرحبة للعائلات

كيف تجعل غرفة الصف بيئة مرحبة للأطفال وعائلاتهم؟

ايفون: إن ثقافتنا المدرسية ثقافة تحترم العائلات جميعها، أعياد ميلاد الأشخاص أمر مهم، وثمة آباء يأتون ويحكون قصة اليوم الذي ولد فيه الطفل، وكل الأحداث التي أدت إلى مولده، كما يحضر الآباء صورًا للأم وهي حامل وصور سونوغرام Sonogram والصور الأولى الملتقطة للطفل بعد مولده.

سمعنا في صفوفنا عن أطفال ولدوا في سيارات الأجرة، وهم ولدوا فعليًا على جسر بروكلن Brooklin، وسمعنا أيضًا عن عمليات قيصرية، وهكذا يعرف الأطفال ما يعني ذلك، إننا نسمع عن أطفال تم تبنيهم، كما نسمع عن رحلات إلى الصين. نحن نسمع كل تلك القصص، لذلك يشعر كل واحد بأنه مرحب به هنا. هناك عائلات ثنائية العرق، فوالد آني Annie صيني بينما أمها بيضاء ووالد ليتي Littie أسود من إفريقيا وأمها بيضاء.. نحن نتحدث عن كل ذلك.

ماريلين: نحن متأكدون بأن ما يحدث في الصف ليس سرًّا، وكثيرٌ مما يتم من تواصل يجد طريقه إلى البيت، ونحصل نحن على معطيات كثيرة من العائلات، تذهب الكثير من الرسائل الإخبارية إلى العائلات من غرفة الصف كل أسبوع أو أسبوعين، وأحيانًا أكثر من ذلك وفقًا لما يحدث في الغرفة الصفية.

لدينا أيضًا لقاءات غير رسمية مع العائلات في مطلع العام، ونجري مقابلات للآباء فقط، ونتعلم الكثير من العائلات عن أطفالهم، قبل أن نجري هذه المقابلات غير الرسمية يكون الآباء قد زارونا هنا من أجل المدة الانتقالية التي تفضي إلى المدرسة، حين يدخلون ويجلسون معنا يشعر الكثير منهم بالراحة، ويبدؤون في التحدث عن أشياء يجد الناس صعوبة في التحدث عنها في ما لو التقيناهم المرة الأولى.

ايفون: أقول للآباء: «إنكم تعرفون عن طفلكم أكثر ما سأعرفه عنه» وأطلب إلى أولياء الأمور أن يتحدثوا عن الأطفال كمفكرين ومتعلمين، وعن شخصية الطفل في العائلة. إن معرفة أولياء الأمور لطفلهم مهمة بالنسبة إلينا، ونحن نريد الآباء أن يعرفوا ذلك.

نحـن نؤمـن أن العائـلات جميعهـا -بغض النظـر عـن تكوينهـا ومكانتهـا الاجتماعيـة والاقتصاديـة- تربي أطفالًا يتمتعـون بالصحة، وبالرغم من حاجة العائلات إلى دعم، فإننا ننظـر إلـى كل طفل يأتـي إلى غرفتنا الصفية كفـرد كامل يتمتع بصحة جيدة، وليـس كحالة تحتاج إلى تثبيت، ولكن الطفل قادر على فهم الأشـياء بصورة جيدة، ولديه اهتمامات، وفي وسعه أن يفعل أشياء كثيرة.

تعليقات المحررين

لا تضحي كل من ماريلين وايفون بوقت العمل الصباحي الغني لجدولة أنشطة القراءة، والكتابـة، وبنـاء المكعبـات، المتفقـة مع المعاييـر، فإنهم تنظـران إلى ما يفعلـه الأطفال ولا تطبقـان المعاييـر الحكوميـة الأساسـية المشـتركة فحسـب، بل معاييـر الأطفـال أيضًـا. يتم تشـجيع الأطفـال على تجريب الأشـياء التي لا يبرعون فيها، والاسـتمرار فـي العمل على تلك الأشياء ليحققوا التحسن، بمثل هذا الأمر يصبح التدريس تدريسًا واعيًا هادفًا.

تؤكـد المدرسـتان كلتاهما على أهمية التشـارك في اجتماعات العمـل اليومي الذي في أثنائـه ينجـز الأطفال معظـم التحدث، كمـا وتحترم كلتاهما مفهوم فيغوتسـكي عـن التأثير المهم للأقران. في الغرف الصفية هذه تنتقل الأفكار في الغرفة، ويكون دور المدرس الفعال واضحًـا. تبـدي كل مـن ماريلين وايفون موهبتهما في مراقبة الأطفـال عن كثب، وهي موهبة لم تشحذها سنوات الملاحظة فحسب، بل التشارك في الملاحظات مع الزملاء أيضًا، لكي يتم فهم منطق أفعال الأطفال.

تخلـق الأعمـال الروتينيـة للمدرسـتين صـلات بيـن المعلميـن والعائـلات، كمـا تبنـي المدرسـتان علاقـات مع عائلات الأطفال منذ البداية، وتنظران إلـى تنوع العائلات على أنه مصدر مهم، وهذا ما ينتج عنه شعور الأطفال والعائلات بأن المدرسة حقًا مدرستهم.